



القصص القرآني

أَنْبَاءُ الْغَابِرِينَ فِي أَحْسَنِ وَأَصْدَقِ صُورَةٍ

الْقَصَصُ الْقُرْآنِيُّ هُوَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَابِرِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ}.

وَأَصْلُ الْقَصَصِ عِنْدَ الْعَرَبِ هُوَ تَبُّعُ الْأَثَرِ، فَالْعَلِيمُ بِالْآثَارِ يَسِيرُ وَرَاءَ مَنْ يُرِيدُ مَعْرِفَةَ خَبْرِهِ وَيَتَّبِعُ أَثَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى مَوْضِعِهِ الَّذِي حَلَّ فِيهِ، وَالْقَصَصُ لَوْنٌ مِنَ أَلْوَانِ الْأَدَبِ يُقْبَلُ النَّاسُ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ؛ فَهُوَ حَبِيبٌ إِلَى نَفُوسِهِمْ، تَهْوَاهُ النَّفُوسُ وَتَطْرَبُ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ، وَتُضْغِي إِلَيْهِ الْأَسْمَاعُ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ أَحْسَنَ الْقَصَصِ وَأَنْفَعَهَا قَصَصُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ}.

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ قَدْ اعْتَادُوا أَنْ يَقْرُؤُوا الْقِصَّةَ لِلْمُتَعَةِ وَالتَّسْلِيَةِ؛ لِأَنَّهُ اسْتَقَرَّ عِنْدَهُمْ أَنَّ أَكْثَرَ الْقَصَصِ لَا يُمَثِّلُ الْحَقِيقَةَ، وَإِنَّمَا هُوَ

تَأْلِيفٌ وَتَلْفِيقٌ، يَدُلُّ عَلَى هَذَا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْقَصَصِ لَا يُمَكِّنُ وَفُوعَهَا؛ فَهِيَ قِصَّةٌ مُتَخَيَّلَةٌ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْدَاثِ. وَقَدْ ابْتَكَرَ بَعْضُ الْكُتَّابِ الْيَوْمَ نَوْعًا يُسَمَّى بِالْخَيَالِ الْعِلْمِيِّ، يُتَخَيَّلُ فِيهِ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ الْبَشَرُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَيُصَوِّرُ حَالَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. إِلَّا أَنَّ قَصَصَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَقٌّ كُلُّهُ وَصِدْقٌ كُلُّهُ؛ فَهُوَ يَحْكِي أَخْبَارًا وَقَعَتْ لَا زِيَادَةَ فِيهَا وَلَا نُقْصَانَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ}، وَقَالَ: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ}.

وَمَتَى أَيَقَنَ الْعِبَادُ أَنَّ مَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَصَصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كُلُّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ فَإِنَّهُ لَهُ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي تَقْوِيمِ

نَفُوسِهِمْ وَتَهْدِيْبِ طِبَاعِهِمْ وَأَخْذِهِمْ الْعِبَرَ وَالْعِظَاتِ مِنْ هَذَا الْقِصَصِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يَقْصَّ عَلَى النَّاسِ مَا يَعْلَمُهُ مِنَ الْقِصَصِ، قَالَ تَعَالَى: {فَأَقْصصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}.

وَقَصَصَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا سَبَقَ بِالنُّسْبَةِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ زَادًا يَرْوِي النَّفُوسَ وَيُبَيِّنُ الْقُلُوبَ، قَالَ تَعَالَى: {وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ}.

لِذَلِكَ فَإِنَّ الْقَصَصَ الْقُرْآنِيَّ يُمَثِّلُ الْوَقَائِعَ وَالْعَمَلِيَّةَ الَّتِي تَرُسِّمُ التَّعَالِيمَ الْقُرْآنِيَّةَ فِي مَشَاهِدِ نَابِضَةِ الْحَيَاةِ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَرَوْنَ الْحَقَّ مِنْ خِلَالِ الْوَقَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْرِفُونَهُ مِنْ خِلَالِ التَّعَالِيمِ الْمَجْرَدَةِ، وَلِذَا فَإِنَّ الْمُسْتَقِيمَ مِنَ الْبَشَرِ قَدْ يُؤَثِّرُ مَسْلُكُهُ فِي النَّاسِ أَكْثَرَ مِمَّا تُؤَثِّرُ أَقْوَالُهُ فِيهِمْ. وَأُسْلُوبُ الْقِصَّةِ مِنَ الْأَسَالِيْبِ الَّتِي اغْتَنَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِهَا عِنَايَةً خَاصَّةً؛

لِمَا فِيهَا مِنْ عُنْصُرِ التَّشْوِيقِ، وَجَوَانِبِ الْأَتْعَاطِ وَالْإِعْتِبَارِ، إِذَا اعْتَمَدَ الْقُرْآنُ أُسْلُوبَ الْقِصَصِ، تَحْقِيقًا لِلْعَدِيدِ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَالْأَغْرَاضِ.

وَيُعَدُّ الْإِطْلَاعُ عَلَى أَخْبَارِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ الْقِصْدَ الرَّئِيسَ مِنَ الْقِصَصِ الْقُرْآنِيِّ؛ لِيَعْلَمَ الْمَطْلَعُ عَلَى ذَلِكَ سَعَادَةَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَشَقَاءَ مَنْ عَصَاهُ؛ وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْقِصْدَ مِنَ الْقِصَصِ الْقُرْآنِيِّ لَيْسَ السَّرْدُ وَالرَّوَايَةُ، وَإِنَّمَا مَا تَحْمِلُ تِلْكَ الْأَخْبَارُ وَالْقِصَصُ مِنْ مَوَاعِظَ وَعِبَرَ تُرْشِدُ قَارِئَهَا إِلَى اتِّبَاعِ سُبُلِ الْفَلَاحِ وَالرَّشَادِ، وَتَجَنُّبِ طُرُقِ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: إِنَّ الْقِصَصَ الَّتِي قَصَّهَا اللَّهُ تَعَالَى

قِصَصُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

لَهُ أَثَرٌ عَظِيمٌ

فِي تَقْوِيمِ النَّفُوسِ

وَتَهْدِيْبِ الطَّبَاعِ

وَأَخْذِ الْعِبَرِ وَالْعِظَاتِ

عَنِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَمَا عَاقَبَهُمْ بِهِ ظَاهِرُهَا الْإِخْبَارُ بِهَلَاكِ الْأَوَّلِينَ، إِنَّمَا هُوَ حَدِيثٌ حَدَّثَ بِهِ عَنْ قَوْمٍ، وَبَاطِنُهَا وَعِظُ الْآخِرِينَ وَتَحْذِيرُهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا كَفَعْلِهِمْ فَيَحِلَّ عَلَيْهِمْ مِثْلُ مَا حَلَّ عَلَيْهِمْ.